تلمحان إلى أنها ما كانت فراشاً حين خُلقت، وإنما فُرشت مهداً ومهاداً لساكنيها راحة الحياة دون تصعّب وشماس، فكما الأنعام فراش: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾[١] كذلك الأرض على حركاتها جعلها الله ذِلّاً بعد شماس، وحمولة فرش بعد ارتكاس، «ملائمة لطباعكم، موافقة لأجسامكم»[٢].

كما وإن ﴿لَكُمُ﴾ تصريحة: أن فراش الأرض هو لصالح حياتكم عليها، وترى أن «كم» هم نحن الأنسال من آدم الأخير، المخلوق أخيراً بعد ملايين السنين من فراش الأرض، أم والأنسال السابقة من أناسيّ سابقين، الذين خلقوا منذ فراش الأرض، كما تدل عليه آيات الخلافة وأقوات الأرض؟[٣].

علّه الأوّل، لا اختصاصاً بنا، وإنما تكريماً لنا على من سبقنا، أم هو الثاني جمعاً بين المكلفين، وإن كانوا حال الخطاب منقرضين، ولكنما الماضين متى يشملهم مستقبل الخطاب؟ اللهم إلّا إذا خوطبوا من قبل كما هنا وأنّى لنا بإثباته! ويا لفراش الأرض من نعمة عظيمة لا ندركها لأننا ساكنوها منذ كنّا، حيث يتطلّب موافقات عدّة بين عناصر عدة تُعدُّ الأرض بها فراشاً لها، فلو فقد أو قلّ أو زاد عنصر واحد من هذه العناصر في ترابها أو مائها أو هوائها لاستحالت أو صعبت الحياة عليها، سبحان الخلاق العظيم!..

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٢.

(٢) نور الثقلين ١: ٤١ عن عيون الأخبار، ابن بابويه بسنده عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام مسلسلاً عن آبائه الكرام عن علي بن الحسين عليه السلام في الآية: ... ولم يجعلها شديدة الحمّا والحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرد فتجمدكم ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم ولكنه عزّ وجلّ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم...».

(٣) يأتي البحث عن آيات الخلافة هنا وآيات الأموات في فصلت.

كذلك السماء حيث جعلها الله بناءً ولم تكن بناءً، فنور الأرض وأمطارها وكثيرةٌ أُخرى من بركاتها هي من بناء السماء: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾[1] ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾[2] [3] . . . ثم ومن آثار بناء السماء: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾[4] فـ«أنزل» هنا دون «ينزل» توحي بالنزول الدفعي الأوّل، حيث الأرض كانت كرة عطشانة محترقة، لا ماء فيها ولا كلاء، فأنزل الله عليها من ماء السماء ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾[5].

فأرضنا الشموس العطشى كانت تتطلّب لمهادها لنا ماءً: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[6] ولو أن مياه الأرض أو بعضها كانت من نفسها لم يكن هنا موقع للتهديد بذهاب مياه السماء فإنما حياة الأرض منوطة بمياه السماء: ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[7] [8] فسبحان من أمسكها بعد مَوَجان

(١) سورة النبأ، الآيات: ١٢ - ١٦.
(٢) سورة النازعات، الآيات: ٢٧ - ٣٣.
(٣) راجع الجزء الثلاثين إلى تفسير هذه الآيات في بناء السماء ص ٢٥ - ٢٨ وص ٨٦ - ٨٨ وكما نبحث عنها مفصلاً في الآيات من «فصلت» عن خلق الدخان السماوي وجعلها سبعاً.
(٤) سورة النمل، الآية: ٦٠.
(٥) سورة النبأ، الآيات: ١٤ - ١٦.
(٦) سورة المؤمنون، الآية: ١٨.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.
(٨) راجع العنوان ص ٢٩ - ٣٢ حول مياه المعصرات.

مياهها، وأجمدها بعد رطوبة أكنافها، فجعلها لخلقه مهاداً، وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجّي راكد لا يجري، وقائم لا يسري، تُكر كِره الرياح العواصف، وتمخَضه الغمام الذوارف، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى[1].

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن هذه النعم هي من إله واحد دون أنداد!: أمثال ونظائر أو أضداد.

وكما التوحيد له درجات، كذلك اتخاذ الشركاء الأنداد دركات: فالند قد يُعبد من دون الله، أو يُعبد مع الله، أم لا هذا ولا ذاك وإنما يخضع له كما يخضع لله ركوعاً أم سجوداً أم ماذا؟ واستغاثة واستعانة به من دون الله، أو مع الله، أو بعد الله أم ماذا؟ أو اعتقاد تأثير له من دون الله أو مع الله أو بعد الله أم ماذا؟ فحتى الرئاء شرك بالله، فجعل الأنداد لله محرم أو كفر أو شركٌ أو إلحاد بالله، صاعدة إلى اتخاذها آلهة من دون الله، ونازلة إلى الرئاء وبينهما متوسطات!: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[2] حيث الشرك كدبيب النمل! ففي الحديث أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ ما شاء الله وشئت قال: أجعلتني لله نداً؟! وقد قالت اليهود له ﷺ دينك خير دين لولا أن أمتك مشركون! قال: وكيف؟ قالوا: حيث يقولون: لو شاء وشاء محمد، فغضب فقال لهم: لا تقولوا هكذا، قولوا: لو شاء الله فشاء محمد تفريعاً لمشيئته ﷺ على مشيئة الله، لا قرناً لها إياها!

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾:

(١) نهج البلاغة عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

. . . تحدٍّ بالقرآن - أنه وحي السماء - الناس أجمعين في الطول التاريخي والعرض الجغرافي، جزماً بعدم إمكان الإتيان بمثل القرآن ولا بسورة من مثله: القرآن: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾!.

وتحدٍّ بمن أنزل عليه ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: عبدنا، تحديان يتمازجان، فيضربان في أعماق تاريخ الرسالات وكتابات الأرض والسماء: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: مثل القرآن من كتب الوحي في أنها وحي مهما اختلفت مراتبها - وكذلك فيمن أنزل عليه: رجالات الوحي ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: مثل عبدنا الذي لم يدرس فأصبح مدرساً للعالمين، أو وحتى مثله في البشرية وإن كان عالماً نحريراً! فقرآن محمد ومحمد القرآن معجزتان متلازمتان فائقتان سائر المعجزات لسائر رجالات الوحي خالدتان ما طلعت الشمس وغربت!.

«التحدي بالقرآن»:

نجد آيات التحدي بالقرآن في مثلث التحديات:

١ - بالقرآن كله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1] وهذا أشمل التحديات حيث يشمل الجنّة والناس أجمعين متظاهرين متظافرين أيّاً كانوا وأيّان، والقرآن كما هو صادق على كله كذلك على آية منه وبينهما عوان!.

٢ - بعشر سور مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾[2].

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
(٢) سورة هود، الآيتان: ١٣، ١٤.

٣ - بسورة من مثله - كما هنا - وهو أقوى التحديات من حيث القرآن مَن أنزل عليه، فالقرآن: ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، وإن كانت كالكوثر - لا فقط بعشر أو به كله - ومن أنزل عليه وإن كان مَن كان إذا كان مثله[١]: أمّياً لم تسبق له أية دراسة أو كتابة أو قراءة: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[٢]، ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ

(١) الضمير الغائب في «مثله» يرجع إلى «عبدنا» كما هو راجع إلى «ما نزلنا» وهما معاً مقصودان حيث تتحملها الآية لفظاً ومغزى.

وكما في تفسير البرهان نقلاً عن تفسير الإمام العسكري عن الإمام الباقر عليه السلام: في الآية قوله: ﴿فَأْتُواْ﴾: يا معشر قريش واليهود! يا معشر النواصب المنتحلين بالإسلام الذين هم منه برآء! ويا معشر العرب الفصحاء البلغاء ذوي الألسن ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] من مثل محمد مثل رجل منكم لا يقرأ ولا يكتب ولم يدرس كتاباً ولا اختلف إلى عالم ولا تعلم من أحد وأنتم تعرفونه في أسفاره وحضوره - بقي كذلك أربعين سنة ثم أوتي جوامع العلم حتى علم الأولين والآخرين - فإن كنتم في ريب في هذه الآيات فأتوا من مثل هذا الرجل بمثل هذا الكلام ليتبين أنه كاذب كما تزعمون، لأن كل ما كان من عند غير الله فسيوجد له نظير في سائر خلق الله، وإن كنتم معاشر قراء الكتب من اليهود والنصارى في شك مما جاءكم به محمد صلى الله عليه وآله من شرائعه.. فأتوا بسورة من مثله - يعني: من مثل القرآن من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم.. فإنكم لا تجدون في سائر كتب الله تعالى سورة كسورة من هذا القرآن.

وفيه عن الإمام علي بن الحسين مثله وزيادة هي: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] من مثل محمد - أي: لم يختلف إلى أصحاب كتب قط ولا تلمذ لأحد ولا تعلم منه وهو من قد عرفتموه في حضره وسفره ولا يفارقكم قط إلى بلد، ليس معه جماعة منكم يراعون أحواله، ويعرفون أخباره، جاءكم بهذا الكتاب المشتمل على هذه العجائب، فإن كان متقوّلاً كما تزعمون وأنتم الفصحاء والبلغاء والشعراء والأدباء الذين لا نظير لكم في سائر الأديان ومن سائر الأمم، فإن كان كاذباً فاللغة لغتكم وجنسه جنسكم وطبعه طبعكم وسيتفق لجماعتكم أو لبعضكم معارضة كلامه هذا بأفضل منه ومثله، لأن ما كان من قبل البشر لا عن الله فلا يجوز ألا يكون في البشر من يمكن من مثله فأتوا بذلك لتعرفوه وسائر النظار إليكم في أحوالكم انه مبطل كاذب على الله تعالى...

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[١] وأن تقولوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ﴾[٢]: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾[٣] فحيث لم يجدوا عربياً يفترون أنه علّمه، قالوا: علّمه سلمان الفارسي، خبلاً في فريتهم وخبطاً عشوائياً في مريتهم، فجاء الجواب الحاسم: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾! فإذا لم يأت به عربي ولم يعلمه فكيف بأعجمي جاءَه في العهد المدني، وقد نزل من القرآن شطر عظيم في العهد المكي!.

٤ - ثم وحتى بآية فإنها قرآن ويشمله التحدي الأول وإن لم ترد في خصوصها آية، حيث الآية في القرآن تعني الآية الإلهية: الدالة على كونها إلهية المصدر والصياغة، بنفسها، وكما الآيات تعبير عن المعجزات فالقرآن آية إلهية بمجموعه - بعشر سور - بسورة - بكل آية آية: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[٤].

ومهما كانت هذه الآيات درجات بالنسبة للمستدلين بها.

ولكنها كلها مصبوغة بصبغة واحدة، مساغة بصيغة واحدة فصاحة وبلاغة وحتى في موسيقى التعبير فضلاً عن محتوياتها.

فالقرآن آية إلهية جملة وتفصيلاً - بآية أو سورة أو عشر سور أم كله، مهما اختلفت القابليات في الحصول على هذه أو تلك بمختلف العقول في مختلف الحقول!.

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٦.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٢.

ومن ثم فحتى لو درس محمد ﷺ في المدارس كلها واكتسب العلوم كلها لا يقدر أن يأتي بمثل هذا القرآن ولو بسورة من مثله أو آية! كيف ولم تسبق له سابقة دراسة أو تلاوة ثم أتى بالقرآن العظيم الذي يعجز دون سورة منه العالمون، ولقد كان المجال أمامهم مفتوحاً، واهتمامهم الشديد بمعارضة القرآن وإبطال حجته مفسوحاً، وحتى الآن لم يأتوا ولن يأتوا ولا بسورة من مثله - أفلا يدل كل ذلك على تحليق القرآن على أجواء الفصاحة والبلاغة تعبيراً، وعلى أجواء العقول في كافة الحقول، وعلى أجواء مختلف العلوم معبراً عنه، طوال أربعة عشر قرناً، وحيداً في ميادين السباق، بل لا سباق إذ لا رفاق!

أفلا يدل كل ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ ذلك أنه نازل بعلم الله؟ ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[1].

﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ في دراسة موسعة:

﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ فيما يُعنى من الضمير ﴿عَبْدِنَا﴾ ابتدائية نشوية: فأتوا بسورة من مثل عبدنا الأمي ثم قايسوا بها سورة من القرآن، لتعرفوا البون الشاسع بينهما، فليكن نازلاً بعلم الله، وحتى إذا استويا، إذ لا مساواة ولا مساماة بين وحي الأرض ووحي السماء!.

أو «من مثل عبدنا» في كونه عبداً وإن كان من عباقرة العلم - وهو أمي! - فأتوا بسورة من أي جن أو إنسان أو نبيٍّ أو أيّاً كان، ثم قايسوا بها سورة من القرآن الذي جاء به هذا الأمي، لتعرفوا - كذلك - البون بيّناً[2] فليكن نازلاً بعلم الله.

(١) سورة هود، الآية: ١٤.

(٢) هنا يجمع بين المماثلة في الأمية، والمماثلة في كونه عبداً، وحتى نبياً حيث تحملهما الآية.

وفيما يعني من ضميره ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ فـ«من» تتحمل الجنسية كما تتحمل النشوية الابتدائية: فأتوا بسورة من مثل القرآن: من كتابات الوحي أيّاً كان، سورة مأخوذة منها وهي مثل القرآن في الوحي، أو سورة هي جنس القرآن كذلك: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1]: أهدى من التوراة والقرآن اللذين تنكرونهما، فإذ لم يأتوا بكتاب إلهي هو أهدى من هذين - كأنهما غير إلهيين - ! دل ذلك بيقين أنهما من وحي الله، فوحي الأرض أياً كان هو أدنى من وحي السماء دنوّ الأرض من السماء وأدنى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ . . .﴾[2].

فهل أتى أحد من أهل الكتاب بسورة من أي كتاب يقايسها بسورة من القرآن، والمجال فاسح؟ كلّا حيث الحاصل من هذا القياس - على أبعد تقدير - مماثلتها سورة من القرآن، أو رجاحة القرآن كما هو حق التقدير، وكيف بالإمكان مماثلة كلام العبد كلام الله أو رجحانه عليه؟ فليكن نازلاً بعلم الله.

ترى ومن الذي يشهد هكذا؟ إنه كلام الله نفسه! بل وكافة الشهداء من دون الله: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أنه ليس من كلام الله! ليشهدوا في كافة مجالات القياس بقرآن محمد أو محمد القرآن، أنهما نازلان من عند الله: شاهداً هو كتاب الله، ومشهوداً له هو رسول الله، إذاً فهما معاً معجزة بارعة إلهية ما لها من فواق!.

فهنا يصل التحدي إلى الغاية أن يطلب من ناكري وحي القرآن أن يدعوا شهداءهم - كلهم - من دون الله، أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، أو بسورة

(١) سورة القصص، الآية: ٤٩.
(٢) سورة القصص، الآية: ٥٠.

من مثل محمد كسورة من القرآن، أن يأتوا ويشهدوا لكم، ولكن ﴿لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ لا تأتون بمثله ومحال أن تأتوا، ولئن أتيتم فإنكم وشهداءَكم سوف تشهدون أن القرآن نازل بعلم الله، إذ لا مماثلة بين ما أتاه وتأتون به!.

فكما ﴿ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ...﴾[1] كذلك الشهداء من دون الله عليهم أن يشهدوا عند القياس، أو - ولأقل تقدير - أن يسكتوا عن الشهادة ضد وحي القرآن، إذ ليس لهم أيّ برهان إلّا عجزهم عن الإتيان بمثله!.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ كما لم يفعلوا ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ كما يستحيل أن يفعلوا في مثلث الزمان، ومن أي فاعل أو محاول كان ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾: الناس النسناس الذين هم كذلك حجارة، إذ غربت عقولهم وتخبطت أحلامهم فصمدوا على نكران القرآن، وحجته باهرة كالشمس في رابعة النهار!

فكيف بالإمكان أن يدّعي محمد ﷺ وهو أعقل العقلاء حقاً وعندهم - أن ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ وهو ليس على يقين من وحي القرآن؟ - ليفضح نفسه ويهدم أساس دعوته لأحيان عاجلة أم آجلة لو أتوا بمثله أو فوقه! ولكنه يعلن في هذه الإذاعة القرآنية ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾: محال أن تفعلوا - لا فقط سوف لا تفعلون - حيث «لن» لمحة أو صراحة لاستحالة مدخولها عقلياً أم واقعياً، ومن اللائح أن الإتيان بمثل القرآن محال فيهما حتى وإن كان من سائر كتابات السماء!.

وعند العجز ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ فحيث تجعلون أنفسكم هنا وقوداً لنار الجحود والنكران لتحرقوا به وحي

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

القرآن فهناك سوف تصبحون مع الحجارة وقوداً للنار التي أضرمتموها من ذي قبل فـ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[١] فكل من له دراية وذوق بأساليب الكلام، وتصورات البشر عن الكون، وكلّ ما للبشر من مناهج ونظريات، لا يخالجه شكٌ أن ما جاء به القرآن في هذه المجالات يختلف تماماً عما للإنسان ونظرائه، كما يختلف الله عن مخلوقاته، فكلام الله إله الكلام كما عِلْمه إله العلم فإنه نازل بعلم الله!

فالقرآن بذاته ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٢] ولكن: إذا لم تكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر! ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: شك كأنه مسنود إلى دليل، ولا يملك أي دليل، بل الأدلة الذاتية من القرآن نفسه تؤكد أنه نازل بعلم الله.. ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ...﴾ ولكي تثبتوا أنه اختلاق خَلقي وليس من الخالق في شيء ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ إذ لا مثيل له وحتى لسورة منه من كتابات السماء، ولا مثيل لمن أنزل إليه أن يأتي بمثله، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ...﴾! و﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ تلمح أن العبودية هي الظرف الصالح لنزول الوحي، لا سواها من طرق بشرية، وما أجمله تعبيراً ﴿عَبْدِنَا﴾ في مثلث المعنى من «عبد» - «نا» وحروفه الثلاثة عند أهل المعرفة «فالعين علمه بالله تعالى والباء بونه عما سوى الله، والدال دنوه من الله بلا كيف ولا حجاب»[٣].

﴿فَأْتُوا۟﴾ إن كنتم كتابيين فمن كتب السماء، وإن كنتم مشركين ناكرين لها ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ كسورة منه «من مثل عبدنا» في أميته أم أو في بشريته، أو

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٣) مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام.